

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن المدة ١٥ ملياً

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للتفكير والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨٩ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

العدد ٥٣٢ القاهرة في يوم الإثنين ١٣ رمضان سنة ١٣٦٢ - الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٣ - السنة الحادية عشرة

الى الأستاذ الزيات

آباؤنا وأمهاتنا وأبنائنا

للدكتور زكي مبارك

بعد منتصف الليل من هذا المساء (٢٩/٨/٤٣) وسوس
المتخاف من جريدة الأهرام :

— ألو، ألو !

— خير، من التكلم ؟

— صالح البهنساري، هل أزعجتك بالحديث في مثل
هذا الوقت ؟

— لم تزعجني، ويسرنى أن أسمع صوتك، فسا عندك
من الأخبار ؟

— عندنا خير يقول : إن والدته الأستاذ الزيات ماتت،
وأردنا أن نعرف منك مبلغ هذا الخبر من الصحة قبل أن ننشره
في الوفيات

— لم أسمع هذا الخبر إلا منك، فلا موجب لنشره قبل التثبت
ثم رجعت إلى نفسي أسأل عن مواساة الأصدقاء بعضهم
لبعض، فقد كان يجب أن أكون أول من يعرف هذا الخبر
إن كان صحيحاً، لأحضر دفن السيدة التي أنجبت هذا الصديق،
ولأشترك في مواساته مع الأقربين

الفهرس

صفحة

- ٧٢١ آباؤنا وأمهاتنا وأبنائنا ... : الدكتور زكي مبارك ...
- ٧٢٥ حكاية الوفد الكسروي : لأستاذ جليل
- ٧٢٧ نشأة الدراما الإنجليزية ... : الأستاذ دريني خشبة ...
- ٧٣٠ اللغة العربية : الأستاذ محمد مرفعة ...
- ٧٣٢ لافوتين : الأستاذ محمد حسني عبد الله ...
- ٧٣٤ أهداء النساء : السيدة وداد سكا كيني ...
- ٧٣٧ موكب الحسن .. [قصيدة] : الأديب أحمد أحد العجمي ...
- ٧٣٧ من شعر الأطفال ... : الأستاذ علي متولي صلاح ...
- ٧٣٨ كلمة بريئة : الأستاذ أحمد تقي القاضى ...
- ٧٣٨ الأهرام : الأديب إحسان عبد القدوس
- ٧٣٩ من رسائل الرافعي : وحى { الأستاذ محمود أبو رية ...
الفران باللفظ . القراءات ..
- ٧٤٠ تنبيه ونبيه : الأستاذ محمود عزت مرفعة ...
- ٧٤٠ دراسات عن مقدمة ابن خلدون :

وحانت منى التفاتة إلى الماضي يوم ماتت أمي ، فقد طلبت
بالحاح أن تراني قبل أن تموت ، وكان أبي يسوف لأنه يعرف
أنى أودى أول امتحان في الجامعة المصرية ، وكانت النتيجة
أن تدفن وأنا غائب ، وأن تبقى الحسرة على أن لم أحمل نسلها
على كتفى

هل كان أبي يعرف أن توديع أمي في لحظاتها الأخيرة
أحب إلى من جميع الغائمين العلمية ؟

لو أنه عرف لأعفاني من لوعة ساعاني نيرانها إلى آخر أيامي
وقد لطف الله بأبي فانت قبل أن يموت أخى سيد بنحو
سنتين ، فلم تشهد جفيرة الدار في موت فتى لم ينتصر عليه قاهر
غير الموت

دخلت على أخى سيد وهو في الحشجة فهض من فراشه
ليقبل يدي ، ثم أسلم روحه إلى باري الأرواح

وكانت الفجيرة الأخيرة هي موت أبي ، ولكنها جفيرة
نعمتى أجزل النفع ، فقد هوت الدنيا في نظري حين صورتها
بالصورة الحقيقية ، صورة الصحراء التي لا تضمن لسكانها من
الضراغم غير الفناء

وهل تعزيت عن أبي وقد طال الفراق ؟

أريد أن أخفف لوعتي فأذكر أنه عاش ما عاش وهو يمتد
أننى أوفى الأبناء : فارجعته في كلمة ، ولا رفضت له نصيحة ،
ولا استعجزت المخالفة عن أمره في شأن من الشؤون

كنت ابنًا بارًا بأبيه ، وكان يرى بأبي يتمثل في صورة
لم تخف عليه ، فقد سمعت أنه تحدث بها إلى بعض الأصدقاء ،
وهي أنى أخفى عنه همومي وأحزاني ، فابات ليلة وهو منموم
بسببي ، ولا وصل إليه حزن من طريقي ، ولا عرف أن الأبناء
قد يكفرون حياة الآباء

والحق أنى كنت أراعى مسعى هو غاية في الخفاء ، ومراعاة
هذا المعنى كانت أعظم عمل أدبته في حياتي ، فاذك المعنى الدقيق ؟

كانت الأقدار قضت بأن تمزق أملاك جدتي كل ممزق ،
فلا يبقى منها غير أوशल ، وكان أبي آخر المنقود ، فلم تكن له

مندوحة من أن يجاهد ليستبقى ومضات من الذهب المضاع
كان أعمامى جبابرة وكانوا قساة وطفاة ، وكانوا أيضاً

منجيبين ، فلا يمشى الرجل منهم إلا وهو موصول الجناح بأبناء
أشداء ، فاذا يملك أبي في مقاومة أعمامى ؟

لقد ناضلهم وحاربهم ، واستطاع أن يستخلص بضعة فدادين
يعيش من ريعها عيش الكفاف ، إلى أن يجود الله بالفني حين يشاء
وكانت دار أبي هي الدار التي مات فيها جدي ، لأن جدي

كانت آخر زواجه الغاليات ، وفي تلك الدار نشأت ، فاذا رأيت ؟
كنا نستيقظ على زلزال يتمثل في سقوط إحدى القاعات ،
فيخف إلينا الجار الأقرب وهو عمى الشيخ سيد أحمد ويده
فانوس ومعه أبناءه ليعاونوا على رفع الأثاث

كانت أخطر فاجعة تهون على أبي ما دامت بميدة عني
هل أستطيع تأدية واجب الوفاء لأبي ، ولو نظمت في رثائه
ألف قصيد ؟

وفي إحدى المصريات دخلت الدار فوجدت أمي تخرج وهي
مدعورة ، فاذا وقع ؟

كانت أمي رأت ثعباناً في أبراج الحمام ففزته بالنار ليختنق ،
فامتدت النار إلى سقف الدار فحوتها إلى نيران

وفي لحظة أو لحظتين بدت شهامة أهل سنترس

لقد تجمعوا من كل جانب رجالاً ونساء ليخمدوا تلك
النيران بالماء والتراب

وماد يملك أولئك الأوفياء ؟

لم يكن في بلدنا غير آبار معدودات ، فكان من الصعب
إخماد نيران لا يخمدها غير البحر المحيط ، وكانت العاقبة أن يحترق
البيت من جميع الجوانب وأن يحس بلا سقف ، مع قسوة الشتاء
ونظر أبي قرأتى بعافية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم جلس
على مصطبة المضيئة وهو في غاية من الاطمئنان

وفي أعقاب السهرة الجياشة بكات المواساة سمعنا نحيباً
يخطر في البال في مثل تلك الحال ، فاذا ذلك النحيب ؟

رأينا جماعة العيسوية تغزو دارنا بركائب محملة بأقوات تكفيها
عشر سنين ، فوقف أبي وقال : إن باب الدار لم يحترق ، وسأغلقه

إن لم ترجعوا مشكورين

كان مقام أبي في تلك الليلة مقاماً رهيباً ، فقد أتت النيران

على جميع الأشياء ، وتركنا بلا قوت ، وإن لم أذكر أنى نمت
في تلك الليلة بلا عشاء

ما الذى كان يمنع من أن يقبل أبى مواساة أعمامى ؟
منه الخوف من أن يمن عليه أخ أو صديق في الأيام

القبيلات

كان أعمامى كراماً برغم ما أرادت الأقدار في تحييف
ما وردوا من الثراء المريض ، ولكن أبى رفض معروف إخوة
سيحاربهم أو سيحاربونه بعد يوم أو يومين

تمثلت لى متاعب أبى في حياته حين شبيت من الطوق ،
فقررت إعفائه من التنب إلى آخر الأيام من حياته الغالية

أردت أن أكون لأبى ابناً وأخاً وصديقاً فكنت ، وقد
محبب عن صدر أبى تلك السطور السود ، سطور الشقاء بالأهل
والأقرباء

هل عرف أبى أن له ابناً تمتحنه الحياة ؟

لقد أخفيت همومى عن أبى فكانت تصل إليه وهى أساطير ،
وكان لا يقوم أن كيد الدنيا يصل إلى من يكون في مثل عنفوانى
وأنا الرجل الذى عرفه أبى ، فلتحاربى الدنيا الغادرة إن

كانت تطيق

لم أنس يوماً أن أبى تمب في شبابه حتى شبع من التنب ،
ولم أنس لحظة أن تكدير كهولته بسببى قد يكون إنمأ موبقاً
يكدر ما أرجو لحياتى من صفاء ، ولهذا المعنى حرصت على أن
يرانى باسماءى في كل وقت ، وأن يرانى غنياً عن الناس في جميع
الأحايين ، وهل يفتقر المؤمن إلى الناس ؟

لم تكن الدنيا سمحت بأن تخلو حياتى من متاعب ، ومع هذا
أخفيت عنه جميع آلامى ، فلم يتصورنى إلا رجلاً خلّت حياته
من الصعاب والأهوال

كان سلوكى مع أبى سلوكاً هو الصورة المنشودة لأدب
النفس ، ولعل الله يتفضل فيقبل دعواته الطيبات وهو يعانى
مرض الموت ، فامات أب راضياً عن ابنه كما مات أبى وهو
راض عنى

وهنا أتذكر أشياء نعدت من الغرائب ، أشياء متصلة بحياة
أبى ، فأتلك الأشياء ؟

كانت أبى تفرح بالمرض أشد الفرح ، لأنها كانت تؤمن
بأن دعاء المرضى دعاء مستجاب ، فكانت تقضى لياليها الأليمة
في دعاء الله بأن يجعلنى من الموفقين . كانت تدعو الله وهى توقن
أنه يسمع ويحيب ، ولم يخطر فى بالها أبداً شيء مما يخطر فى بال
أهل الارتياح

كانت أبى سيدة مؤمنة ، وكان إيمانها موروثاً عن أمها
وأبيها ، وكانا زوجين قانتين لا يعرفان غير فاطر الأرض والسماء
ومع أن المؤلف فى كل أرض أن الأم لا تستريح كثيراً
إلى زوجة ابنها ، فقد كانت أبى تحببى فى زوجتى ، وتصفها
بأجل الأوصاف ، وتخصها بكثير من الدعوات ، بحيث تعد
سلوكها من أندر ما يقع فى حياة النساء

وكذلك كان حال جدى لأبى ، فقد كان حين يزور دارنا
بعد صلاة العيد يبدأ بالسؤال عن زوجات أبى ، سؤال الوفاء
لا سؤال الرياء ، ثم يدعو الله أن يديم عليهن نعمة الباقية والقبول
أما أمر أبى فى تربيتى ، فكان محبباً من العجب ، كان
لا يتناول طعاماً بدون أن أشاركه فيه ، ولو كان طعاماً أعدته له
إحدى الزوجات المحظيات

كنت أدخل الدار مع الليل ، والشواء يفوح والنوم
فى جفونى ، فأوى إلى مضجعى وأنا أرجو أن يعفنى أبى من
مشاركته فى عشاءه المرموق ، ولكنه لم يكن يتناول طعاماً
بدون حضورى ولو كان تحفة عروس

من الذى أوحى إلى أبى ما غاب عن كبار الرين ؟

كان أهلى يقولون إن الطفل يحتاج إلى تأسيس ، وكانوا
يرون أن الطفل المؤسس يعيش فى قوة إلى آماد طوال

ثم دارت الأيام واستقلت عن أبى كل الاستقلال ، فقد
أكرمه الله بالعيش إلى أن يرانى رجلاً له أهل وأبناء وأملاك ،
ومع هذا كان يرانى ضيفه حين أزور سنتريس ، ويبالغ فى
الكرم فلا يتركنى لحسن الفهم فى رعاية ضيوفى ، وإنما يتقدم
فيكرمهم بأسلوبه الجميل ، أسلوب الرجل الفطور على السخاء
الفضاض

ولن أنسى أنه كان يتاحى المسيو دى كومنين مناجاة الرفيق
للرفيق ، مع أن لغة التفاهم غير موجودة بأى شكل ، فكان

وفي أقصر من لمح البصر يخنصره الموت ، فتبقى له بوارق
تذيب لغائف القلوب

ماذا أصنع والأطفال الذين تكلمهم كانوا كذلك ؟
قدرت أنهم عاشوا حتى شبعوا من العيش ، والعيش تعب
فليستريحوا آمنين

دفت يدي أطفالا كانوا أعز علي من نفسي ، ولكنني لم أبك
عليهم كما بكيت على أمي وأخي وأبي ، لأنهم لا يطالبونني بالوفاء ،
فقد اختارهم الله إلى جواره قبل أن يعرفوا الفرق بين البر والمقوق
وما حاجة الأطفال إلى البكاء ؟

ألا يكفي أن الله أنجاهم من مكاره العيش ، في دنيا أتمت الأنبياء ؟
الدمع على الطفل الذاهب أغزر من الدمع على الكهل
الذاهب ، فما الذي فاتهم من حظوظ البكاء ؟

بهذه السياسة فرضت على زوجتي أن تنسى الأطفال الذين
فقدناهم في مصر الجديدة وفي سنترس ، فاكثفت واكتفيت
بالشياطين الذين عاشوا ، وهم أبناء لم تمنهم الشيطنة من أن
يكونوا غاية في أدب النفس وصفاء الروح
إذا راعى الابن واجبه نحو أبيه ، فما يضره إن نسي الواجب
في معاملة جميع الناس ؟

أنا لم أفعل خيراً في حياتي أفضل من الأدب في معاملة أبي
وأمي ، وقد جازاني الله فجعلني في عصمة من دسائس السفهاء
الحجر الأول في بناء الوطن هو الأسرة ، وأبنائي لا يحبونني
متفضلين ، وإنما يرون رجلاً يدبر لهم منافع لن يحتاج إليها قبل
أن يموت ، ولو عاش عمر نوح ... وهل أعيش إلى أن أنتفع
بما أدبر لأبنائي ؟

ليت أبنائي يتأدبون بأدبي !
أنا أرى أن حيوية الرجل فوق الحدود ، والسر كله في طاعة
الله ، الطاعة التي يعرفها أصحاب العقول ، الطاعة التي تتمثل
في العمل الموصول بصدق وإخلاص

كونوا يا أبنائي مثل البحر ، فهو قد يغضب في كل وقت ،
ولكن كل قطرة من قطراته تشتمل على حيوات عظيمة
واذكروا دائماً أنني لم أنل رضا الله بالجهان ، فقد نلت رضا
بكفاح يؤد كرمه في حجة بنياني ، وأنا بحمد الله غاية في حجة
البنين .

من ذلك دليل على أن الألسنة أقل إفصاحاً من القلوب
كان لي أب وكانت لي أم ، وأنا اليوم يتيم كهل ، واليتيم
الكل أهرف باليتيم ، كما قال أخونا الأستاذ محمد المراهي ،
طيب الله ثراه !

أما بعد فانا لا أوصي باجترار الأحزان ، ولا أدعو إلى أن
نطيل البكاء على آباءنا وأمهاتنا ، فذلك يؤذيهم في عالم الأرواح
وإنما هي لوعة نرجحها كارهين لا طائعين ، وهي على قسوتها دون
ما يجب في تسجيل الوفاء

ثم ماذا ؟ ثم يكون الحديث عما نفقد من أبنائنا ، وأنا ذقت
مهارة الشكل مرات ، إلى أن لطف الله فأعفاني من ذلك العناء
وسيتفضل جل شأنه فيرحم جفوني من دموع الثاكليين ، لأنه
أرحم الراحمين

ومن واجبي نحو قرأني أن أدلهم على المذهب الذي سلكته
في ذلك الجحيم :

حين ذقت الشكل أول مرة رأيت له طعماً متفرداً بين طعموم
الأحزان ، رأيت يقلقل أضراسي ويكاد ينقلها من مكان إلى
مكان ، ورأيت تمزية المزين تزيد أحزاني ، فقررت أن لا يقام
للطفل الميت مأتم ولا عزاء ، وقررت أن لا أسمع بكاء أمه عليه ،
وأن لا يذكر اسمه في البيت ، وأن يمضي إلى من وهبه ثم
لسترده بلا عويل ولا صياح

كنت أقول : هو لنا عند الله ، فلنتركه ذخيرة تنفطنا يوم
الحساب ، إن كنا مؤمنين

والواقع أن هذه أعظم شجاعة بدت مني في حياتي ، فالطفل
لا يموت إلا بعد أن يتجلى تجلياً هو غاية في الفتون ، فتكون
حركاته وسكناته من الفرائب والمجائب ، ويكون تحفة طريفة
تحول البيت إلى فردوس من أجل الفرائد ، بحيث يقال
في وصفه إنه كان ابن موت ، وهذه عبارة مألوقة عند أهل
الريف ، وهي غاية في الصدق

وبقليل من التأمل نرى أن الطفل الذي يموت بعد سنة
يكون استوفى من الحياة سنوات وسنوات ، لأنه في عمره القصير
يستوفى من حظوظ دنياه في المرح واللعب والابتهاج ما لا يستوفيه
كبار العمرين . وهنا تكون الفتنة الدامية ، فذلك الطفل بعد
أهله وعوداً لا تخطر في البال ، فهو في إشاراته وعباراته يؤكد
بأن سيكون أعظم العظماء في القديم والحديث